القرامطـــــــة

طائفة مناهضة للإسلام

الدكتور

محمـــد أحمـــد ديـــاب

كلية أصول الدين والدعـوة

جامعة الأزهر ــ أسيوط

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمـــة

الحمد لله الذي أكمل لنا ديننا ، وأتم علينا نعمته ، ورضي لنا الإســـلام ديـــناً ، والصلاة والسلام علي سيد الأنام ، الذي بعثه ربه لإخراج البشرية من ظلمات الشرك إلي نور الإسلام ، فبلغ الرسالة ، وأدى الأمانة وجاهد في الله حق جهاده ، فأعلى كلمة الله حتى ملأت الدنـــيا ، فصلوات الله عليه وسلامه ، وعلى آله وصحبه ومن سلك هديه ودعا بدعوته ، وسار على منهجه إلى يوم الدين .

وبعد . . . .

فـــإن الصـــراع بين الخير والشر قديم قدم الإنسان على هذا الكوكـــب ، وأن الله لما خلق آدم ــ عليه السلام ــ قبض قبضة من بقاع الأرض كلها فخرج أبناؤه مختلفين في الشكل ، واللون ، والطبع فـــيهم الخـــير ، والشرير الذي يهوى الشر ويميل إليه ، خارجاً بذلك عـــن الفطـــرة التي فطر عليها ، وهي عبادة الله الواحد الأحد الفرد الصـــمد ، وكان من فضل الله على الإنسانية أن ابتعث فيها رسلاً من عـــنده في مختلف العصور ، وهم أناس من البشر اصطفاهم الله من بين خلقه للقيام بدعوة الناس إلي عبادة الله رب العالمين ، ويرشدهم إلى الحق ، وإلى طريق مستقيم :" **وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ** "[1]

وكانـــت الرسالات السماوية السابقة على الإسلام ، رسالات موقوتة بوقت وزمان الرسول المرسل لمن أرسل إليهم ، فلما تهيأت الإنســـانية لتقـــبل الرســـالة العامة التي تصلح معتقدات البشر كله ، وتوجهـــه إلى عبادة الله تعالى مصحوبة بكتاب قد ضمن الله حفظه ،

---

(١) سورة فاطر الآية : ٢٤ .

فلا تمتد إليه يد التحريف أو التبديل : " **إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ** "[١] أنعم الله عليها بعقيدة الإسلام على يد سيد ولد آدم ولا فخر محمد خاتم النبيين ، والمبعوث رحمة للعالمين ، ــ صلوات الله وسلامه عليه ــ ، وعلى آله وصحبه ومن تبع هديه إلى يوم الدين .

وقام ــ صلى الله عليه وسلم ــ بمهمته خير قيام فبلغ الرسالة ، وأدى الأمانة ، ونصح الأمة ، وكشف الله به الغمة ، فكانت دعوته كالمحجة البيضاء ، ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك .

والتزم الناس بتعاليم الرسول الكريم ــ صلى الله عليه وسلم ــ طيلة حياته ، ولم يحدث خلاف بين المسلمين عامة ، وبعد انتقاله إلى الرفيق الأعلى دب الخلاف ، ظهرت بذور الفتن والقلاقل في جسم الأمة الإسلامية فانكشف الغطاء عمن دخل الإسلام نفاقاً ، فأسلم وفي نفسه بقايا من ديانات فاسدة ، ورثها عن بيئته التي نشأ فيها قبل الإسلام راغباً في أن يجعل من الإسلام مزيجاً من ديانات مختلفة متضمناً لمعتقدات قديمة كالمانوية ، والمزدكية ، والمجوسية حقداً على هذا الدين الذي قضي على ملك الفرس والروم ، وأجلى اليهود عن المدينة المنورة ولما لم تتح الفرصة لهؤلاء الموتورين من الإسلام ، كي ينشروا سمومهم بين المسلمين في حياة الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ لأن القرآن يقوم بمهمة الدفاع عن الرسول ، فيكشف مؤامرات أهل السوء والمتبع لأسباب النزول يتضح له مهمة دفاع القرآن في كشف الكثير من الحوادث التي كان يحيكها أهل الزيغ للإسلام ، لذلك اتجه هؤلاء إلى تأليف الجمعيات السرية التي ضمت اليهودي والمجوسي معاً بقصد إفساد العقيدة الإسلامية بعد وفاة

---

(١) سورة الحجر الآية : ٩ .

الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ ، وكانت أول مجاهرة بعداوة هذا الديــن فــي حياة الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ حيث أعلن ذو الخويصــرة التميمي عدم رضاه على توزيع الرسول للغنائم ، وجاهر فــي وجه النبي بقوله : اعدل يا محمد فإنك لم تعدل ، فقال ــ صلى الله علــيه وسلم ــ **إن لم أعدل فمن يعدل** ، فعاودها اللعين بقوله : هــذه قسمة ما أريد بها وجه الله ، حتى أن النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ قال : " **سيخرج من ضئضئ هذا الرجل قوم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية** ، فكان الخوارج أول من خرج على إمــام المســلمين علــي ــ كرم الله وجهه ــ ، ومرقوا من الإسلام بتشددهم وتكفيرهم لعامة المسلمين .

ثــم مــا كان من قتل عمر ــ رضي الله عنه ــ على يد أحد المجــوس وهــو أبــو لؤلــؤة ، وقــاتل علي ــ كرم الله وجهه ــ عبد الرحمن ملجم المجوسي أيضاً .

وبعــد ذلك اشتد خطر أعضاء هذه الجمعيات السرية على يد أحــد أعضائها المبرزين وهو عبد الله بن سبأ اليهودي ، الذي أعلن إســلامه فــي خلافة عثمان ــ رضي الله عنه ــ متخذاً من الإسلام ســتاراً لتحقيق أهدافه في طمس معالم هذا الدين ، وقد وجد الفرصة مواتــية له حين يتقن حب الناس وعطفهم لآل البيت ، عند ذلك قام بــدوره الذي يهدف إليه فآثار حفيظة الناس ضد عثمان واتهمه بأنه اغتصــب الخلافة من علي ، وهو أحق بالخلافة منه ، ونادى برجعة محمد ، وبوصاية علي ، ثم غالى في علي فزعم أنه إله ، وأن الإله حــل فــيه ، وأنه لم يمت ، وأنه في السحاب ، وأن الرعد صوته ، وتــبعه خلق كثير على غوايته ، ومنه تشعبت أصناف الغلاة ، ممن ســموا بالرافضــة الذيــن رفضوا إمامة زيد بن علي بن الحسين ــ

رضـــي الله عـــنهم ــ عندما أبي مشاركتهم في لعن الشيخين ، ومن ســـلالتهم طائفـــة الإســـماعيلية التي قالت بإمامة الإمام المستور ، وعرفـــت بالباطنـــية ؛ لأنهـــا قالت بأن للقرآن ظاهراً وباطناً ، ومن الباطنة ظهرت المذاهب المنحرفة التي اتخذت من الإسلام ستاراً لنشر عقائدها الفاسدة على مر العصور والدهور متخفية في أزياء التشيع بأسماء مختلفة كالبابية والبهائية القاديانية وما هذه النحل إلا فيروس مـــن فيروسات الإسماعيلية الباطنية التي رضعت من ثدي السبئية ، والتـــي تكـــاد تكـــون سلسلة لا تنقطع في كل عصر ، وكل زمن مع التغيير في المسميات .

ففي طورها الأول سميت بالإسماعيلية الواقفية ؛ لأنها توقفت عـــند الإمـــام الســـابع وقيل عنها الإمامية السبعية واشتهرت باسم الباطنـــية والتعليمـــية والمزدكية ، والقرامطة ، الذين هم أحد روافد الباطنـــية فقـــد ســـير الإمام الإسماعيلي وحجته عبد الله بن ميمون الحســـين الأهوازي إلى الكوفة وهناك التقى بحمدان قرمط الذي حمل عـــبء الدعـــوة عن كاهل معلمه الأهوازي وتبني الدعوة القرمطية وأســـس طائفة قرامطة العراق وعنهم نشأت جميع طوائف القرامطة الذيـــن كـــانوا مصـــدر رعـــب وخوف للآمنين فقد ارتكب أبو طاهر القرمطـــي زعـــيم قرامطة البحرين أكبر جريمة في التاريخ الإنساني حيـــث عدا على حجيج بيت الله فقتل منهم خمسين ألفاً في يوم واحد وهـــؤلاء عزل حتى من ملابسهم لأنهم كانوا في وقت الإحرام ثم أخذ الحجـــر الأسود من مكانه ونقله إلى "هجر" عاصمة ملكه واستمر ما يقرب من عشرين عاماً ولا يخفى تطاوله على الله تعالي بألفاظ فيها شئ من التحدي حيث ضرب الحجر الأسود بمعول كان في يده ثم قال أليق قال من دخله كان آمناً وها أنا أدخله الآن يقصد أنه لم يتعرض

له أحد .

نعوذ بالله من الكفر والطغيان .

ثـم إنهـم أبـاحوا المحرمات وقالوا بنسخ القرآن وغيروا الفرائض وهذا ما سنوضحه في ثنايا البحث وبالله التوفيق .

القرامطـــــة

تنسب هذه النحلة إلى حمدان قرمط مؤسس قرمطة العراق ، واسمه حمدان بن الأشعث من سواد الكوفة ، وقد اختلف المؤرخون في أصل كلمة قرمط.

فقـــال المقريـــزي (إن حمدان بن الأشعث كان قصير القامة والسير وكانت خطواته متقاربة فأطلق عليه اسم قرمط)[١]

وقـــال ابـــن جريـــر :(إن حمدان كان أحمر العينين شديدة حمرتها وكان أهل القرية يسمونه كرميته لحمرة عينيه وهو بالنبطية أحمر العينين ثم خفف فقالوا قرمط)[٢]

وفـــي القاموس : القرمطة دقة الكتابة ومقاربة الخط ، وقيل أيضاً كان في القرية رجل أحمر العينين يحمل على أثوار له يسمونه كرميته لحمرة عينيه ومعناه بالنبطية أحمر العين فسمي بالرجل الذي فـــي دار كرميه ثم خفف فصار قرمط وقيل معنى قرمط في الآرامية المعلم السري[٣]

وهناك أقوال أخري في سبب تسميتهم بالقرامطة :

القول الأول : أنهم سموا بذلك لأن أول من أسس هذه محمد الوراق المقرمط.

القول الثاني : أنـــه كـــان رئيس من السواد بالعراق من الأنباط يلقب بقرموطية فنسبوا إليه.

القول الثالث : أن قـــرمط كان عاملاً لإسماعيل بن جعفر

---

(١) اتعاظ الحنفاء للمقريزي ص ١٠١ .
(٢) تاريخ الأمم والملوك.
(٣) لسان العرب.

فنسبوا إليه لأنه حدث لهم مقالاتهم.

والقول الرابع : أن بعض دعاتهم اكترى بقراً من رجل يقال له قرمط بن الأشعث ثم أدخله في مذهبه.

القول الخامس : إن بعض دعاتهم نزل برجل يقال له كرميته فلما رحل سمى باسم ذلك الرجل ، ثم خفف الاسم فقيل قرمط.

القول السادس : إنهم لقبوا بهذا الاسم نسبة إلى رجل من دعاتهم يقال له حمدان قرمط [١].

ويقول بطرس بن جبرائيل يوسف عواد الذي اشتهر باسمه الكهنوتي " الأب نستاس الكرملي " عند شرحه لهذا اللفظ في أثناء تحقيقه لكتاب " بلوغ المرام في شرح مسك الختام في من تولي ملك اليمن من ملك وإمام " الذي ألفه القاضي العرضي : إن هذه اللفظة إرمية ــ نبطية ، من قرمطونا أي المدلس أو الخبيث أو المكار أو المحتال ، أو من قرمط وهو التدليس أو الخبث أو المكر أو الاحتيال ، لما اشتهر عنهم من هذه الأمور[٢].

والذي يؤيده الواقع أن كلمة قرمط ترجع إلي المعلم السري والمحتال والماكر والخبيث ؛ لأن كل هذه الصفات تنطبق علي دعواتهم التي بدأت بحمدان بن الأشعث وهو الذي نزل عليه الداعي الإسماعيلي المؤسس لهذه النحلة (الحسين الأهواري) أحد دعاة الإسماعيلية والذي سيره عبد الله بن ميمون إلى جهة الكوفة لنشر

---

(١) انظر اتعاظ الحنفاء للمقريزي ، تاريخ الرسل والمولد لابن جرير الطبري ٢٣/٢٠ ـ دار المعارف ، انظر القرامة أول حركة اشتراكية في الإسلام ص ٣٧ ط/ دار العلم للملايين ط / الأولي .

(٢) القرامطة أول حركة اشتراكية في الإسلام ص ٢٨ ط/ أولي ط/ دار العلم للملايين ـ بيروت.

الدعـــوة الإســـماعيلية فـــنزل على حمدان هذا ولقنه أصول المذهب الإســـماعيلي ، وبعد وفاته قام حمدان بنشر دعوته في منطقة سواد الكوفـــة واستطاع أن يضم إليه الكثير من التباع واتخذ له دار هجرة بســـواد الكوفـــة يهاجـــرون إليها ويجتمعون بها وفشا المذهب باسم القرامطة نسبة إلى حمدان قرمط وكان ذلك في عام ٢٧٨هـ[١]

---

(١) تاريخ الطبري ١٠/٢٣ .

علاقة القرامطة بالإسماعيلية

أكـدت المصادر التاريخية الموثوق بها حتى مصادر الطائفة الإسماعيلية نفسها أن فرقة القرامطة فرقة إسماعيلية محضة ولا أثر للجدال في عدم صحة نسبها الإسماعيلي ، ولا مجال للإبهام في أنها أسسـت على أساس إسماعيلي باطني صرف ، الغاية منها أن تكون قاعدة تنطلق منها دعاة الإسماعيليين إلى مختلف أصقاع الدنيا.

فقد سير الإمام الإسماعيلي وحجته عبد الله بن ميمون القداح وهمـا فـي الأهـواز إلـي سواد الكوفة في العراق الداعي الحسين الأهوازي فبلغ هذا الداعي سواد الكوفة واستطاع بما أوتيه من حجة بالغـة فـي الإقناع علي الطريقة الإسماعيلية في الجدل والسفسطة وتفقـه عمـيق لأصـول المذهب الإسماعيلي أن يضم إليه لفيفاً من المؤيدين وكان أبرزهم حمدان قرمط الذي خلف معلمه الأهوازي في إتمام رسالته والنهوض بأعباء الدعوة الإسماعيلية[١]

ويـروي ابـن الأثـير في حوادث ٢٧٨ قصة قدوم الحسين الأهـوازي مؤسس الدعوة القرمطية إلى البصرة وخطته في الدعوة فـيقول (إن رجلاً قدم من ناحية خورزستان إلي سواد الكوفة فكان بموضع يقال له التهريز ، يظهر الزهد والتقشف ، ويسف الخوص ، ويأكل من كسب يده ويكثر الصلاة ، وأقام على ذلك مدة فكان إذا قعد إلـيه رجـل ذاكـره أمر الدين وزهده في الدنيا ، وأعلمه أن الصلاة المفروضة علي الناس خمسون صلاة في كل يوم وليلة حتى فشا ذلك عـنه بموضـعه ثم أعلمهم أنه يدعو إلى إمام آل بيت الرسول ، فلم يزل على ذلك حتى استجاب له جمع كبير .

---

(١) انظر : أعلام الإسماعيلية ص ٤٨ ، ٤٩ .

وكان يقعد إلى بقال هناك ، فجاء قوم إلى البقال يطلبون منه رجلاً يحفظ عليهم ما صرموا من نخلهم ، فدلهم عليه وقال لهم :

إن أجـابكم إلـى حفظ تمركم بحيث تحبون فكلموه في ذلك، فأجـابهم علـى أجـرة معلومة فكان يحفظ لهم ويصلي أكثر نهاره ويصوم ، ويأخذ عند إفطاره من البقال رطل تمر فيفطر عليه ويجمع نـوى التمر ويعطيه للبقال ، فلما حمل التجار تمرهم حاسبوا أجرهم عـند البقال ، ودفعوا إليه أجرته وحاسب الأجير البقال على ما أخذه مـنه مـن التمر ، وحط ثمن النوى ، فسمع أصحاب التمر محاسبته للـبقال بثمـن النوى فضربوه وقالوا له : ألم ترض بأكل تمرنا حتى بعـت النوى ؟ فقال لهم البقال لا تفعلوا وقص عليهم القصة فندموا علـى ضربه ، واستحلوا منه ففعل وازداد بذلك عند أهل القرية لما وقفوا عليه من زهده.

ثـم مـرض فمكث علي الطريق مطروحاً ، وكان في القرية رجل أحمر العينين ، يحمل أثواراً له يسمونه كرميته لحمرة عينيه ، وهو بالنبطية أحمر العين فكلم البقال الكرميته في حمل المريض إلى منزله والعناية به ، فأجابه ففعل وأقام عنده حتى برأ ، ودعا أهل تلك الناحـية إلى مذهبه ، فأجابوه وكان يأخذ من الرجل إذا أجابه ديناراً ويـزعم أنه للإمام ، واتخذ منهم اثني عشر فقيهاً ، أمرهم أن يدعوا الـناس إلى مذهبه وقال أنتم كحواري عيسى بن مريم ، فاشتغل أهل كور تلك الناحية عن أعمالهم بما رسم لهم من الصلوات .

وكـان للهيصم في تلك الناحية ضياع ، فرأي تقصير الأكرة فـي عمراتها ، فسأل عن ذلك فأخبر بخبر الرجل ، فأخذه وحبسه ، وحلـف أن يقتله لما اضطلع علي مذهبه ، وأغلق باب البيت عليه ، وجعل المفتاح تحت وسادته ، واشتغل بالشرب ، فسمع بعض من في

الـــدار مـــن الجواري بمساعته فرقت للرجل ، فلما نام الهيصم أخذت المفتاح وفتحت الباب وأخرجته ، ثم أعادت المفتاح إلى مكانه ، فلما أصبح الهيصم فتح الباب ليقتله فلم يجده.

وشاع ذلك في الناس فافتتن به أهل تلك الناحية ، وقالوا رفع ثم ظهر في ناحية أخرى ولقي جماعة من أصحابه وغيرهم ، وسألوه عـــن قصته فقال : لا يمكن أن ينالنى أحد بسوء فعظم في أعينهم ثم خـــاف علـــى نفسه فخرج إلى ناحية الشام فلم يوقف له على خبر ، وســـمي باســـم الرجل الذي كان في داره كرميته صاحب الأنوار ثم خفف فقيل قرمط ثم فشا مذهب القرامطة سواد الكوفة[١].

وقـــيل خلفـــه فـــي دعوته مضيفه حمدان قرمط ولذلك سمي أتباعه القرامطة بنسبة إليه[٢].

وأوضح صاحب الفهرست ما ملخصه أن ميمونا القداح وابنه عـــبد الله همـــا مؤسســـا مذهب الإسماعيلية وأنهما كانا على مذهب الديصـــانية وقـــد وضعا خطة النهوض بالدعوة الإسماعيلية ، وتقرر فيها التزام الاتباع بهذه الخطة المرسومة واستبداد في اتباعها وكانت الخطـــة ذات ظاهر جيني ، وقد استخدمها الحسين الأهوازي الداعي الفاطمـــي حمدان قرمط في المذهب على صورة تمثل النموذج الذي احتذاه أولئك القوم في دعوة الناس إلى رأيهم[٣].

يقـــول المقريـــزي :(لما خرج الحسين الأهوازي داعية إلى العراق لقي حمدان بن الأشعث قرمط بسواد الكوفة ، ومعه ثور ينقل علـــيه فتماشيا ساعة فقال حمدان للحسين : إني أراك جئت من سفر

---

(١) الكامل ١٤٧/١ .
(٢) القرامطة ص ٤٥ .
(٣) الفهرست ص ١٨٩ نقلاً عن الحضارة الإسلامية ج٢ ص ٥١٥ ، ٥١٦ .

بعـيد وأنت معنى ، فاركب ثوري هذا فقال الحسين : لم أؤمر بذلك ، فقـال له حمدان كأنك تعمل بأمر آمر لك قال نعم ، قال : ومن يأمرك ويـنهاك ؟ ، قال مالكي مالكك ومن له الدنيا والآخرة ، فبهت حمدان قـرمط يفكر ، ثم قال يا هذا ما يملك ما ذكرته إلا الله ، قال صدقت ، والله يهب ملكه لمن يشاء .

ثـم بـدأ يدعوه ويقول له دفع إلي جراب فيه علم وسر من أسرار الله ، فقال له حمدان ، يا هذا نشدتك الله إلا دفعت إلى من هذا العلم الذي معك وأنقذني ينقذك الله ، ثم أخذ عليه العهد .

وصـار الحسين معه إلى منزله وأقام به ، وكان الحسين علـى غايـة مـا يكون من الخشوع صائماً نهاره ، قائماً ليله فكان المغـبوط من أخذه إلى منزلة ليلة ، وكان يخيط لهم الثياب ويكتسب بذلك فكانوا يتبركون به بخياطته[1].

وبـناء على ما سبق يتضح للقارئ أن فرقة القرامطة فرقة إسـماعيلية قلـباً وقالباً ويؤكد ما ذهبنا إليه صاحب مؤلف الحضارة الإسـلامية فيقول : وكان لهم الفاطميون دعاة منبعثون في كل صقع وناحـية ، ولقد قال المعز لدين الله الفاطمي في كتاب كتبه لأحد قواد القـرامطة عام ٣٦٢هـ ، يقول فيه : (وما من جزيرة من الأرض ولا إقلـيم إلا ولـنا فـيه حجج ودعاة يدعون إلينا ، ويدلون علينا ، ويـأخذون ببيعتـنا ، ويذكرون رجعتنا ، وينشرون علمنا وينذرون بأسـنا ويبشـرون بأيامنا بتصاريف اللغات واختلاف الألسن) وكان القـرامطة يطـيعون أمرهم وكانت بلوخستان تعترف لهم بالسيادة ، وأقـل مظاهر هذا الاعتراف ما حدثنا به ابن حوقل من أن أهل هذه الـبلاد يصـرحون بأنهم في دعوة الفاطميين وأنهم يجمعون ببلادهم

---

(1) الألفاظ للمقريزي ص ١٠١ ، ١٠٢ ، وانظر : الحضارة الإسلامية .

أمـــوالاً وذخائـــر كثـــيرة تجـــل عـــن الوصف ويقولون إنها للإمام المعز لدين الله[١].

ومـــن الآثار التاريخية في هذا الصدد كتاب المصري صاحب المعـــرب إلى أبي طاهر القرمطي في عام ٣١٧هـــ عندما غزا مكة وقـــتل الحجـــيج وقلع الحجر الأسود وحمله معه إلى هجر. وطرح القتلى بئر زمزم فلما بلغ ذلك المهدي العلوي بأفريقيا كتب إليه ينكر عليه فعله ويلومه ويقول له : " لقد حققت على شيعتنا ودعاة دولتنا اســـم الكفر والإلحاد بما فعلت ، وإن لم ترد على أهل مكة والحجاج وغـــيرهم مـــا أخـــذت منهم ، وترد الحجر الأسود إلي مكانه ، وترد كسوة الكعبة ، فأنا برئ منك في الدنيا والآخرة "[٢].

---

(١) الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري أو عصر النهضة في الإسلام ج٢ ص ١٣ ، آدم متز تعريب محمد عبد الهادي أبو ريدة ط/ الجزائر.

(٢) الكامل ج٨ ص ٢٠١ ، ٢٠٢ .

عقـــيدة القرامطـــــة

تقـــوم عقـــيدة القـــرامطة علـــى أصول الديانات القديمة من المانوية والمزدكية والمجوسية وعناصر الفلسفة اليونانية ونظريات الغنوصـــيين من النصارى ، فقالوا بالحلول كما هو الحال في مذاهب الغنوصيين من النصارى ، وقالوا بألوهية محمد بن إسماعيل ومنهم من قال بألوهية أبي سعيد الحسن بن بهرام وأبنائه ، ومنهم من قال بألوهية أبي الخطاب محمد بن أبي وينب مولي بني أسد بالكوفة وكثر عددهم حتى تجاوز الألوف ، وقالوا هو إله ، وجعفر بن محمد إله إلا أن الخطـــاب أكبر منه ، وكانوا يقولون جميع أولاد الحسن أبناء الله وأحـــباؤه ، وكـــانوا يقولـــون إنهم لا يموتون ، ولكنهم يرفعون إلي الســـماء ثـــم قالـــت طائفة منهم بألوهية معمر بائع الحنطة بالكوفة وعـــبدوه وكذلك نجد ابن أبي زكريا الطامى مهد القرامطة وقد ادعي الربوبية وسن شريعة فسق[1].

كتـــاب القرامطـــة

وقـــد صـــدر عـــن القرامطة كتاب على غرار القرآن الكريم يتضمن عقيدتهم وشريعتهم وما يدعون إليه .

يقول ابن الأثير : وكان فيما يحكي عن القرامطة من مذهبهم أنهم جاءوا بكتاب فيه :

بســـم الله الرحمـــن الرحيم يقول الفرج بن عثمان .. داعية المســـيح وهـــو عيسى وهو كلمة الله وهو المهدى ، وهو محمد بن محمد بن الحنفية وهو جبريل ، وذكر أن المسيح تصور له في جسم إنســـان وقـــال له : إنك الداعية ، وإنك الحجة ، وإنك الناقة ، وإنك

---

(١) الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري ٢/٥١١ ، ٥١٢ .

الدابـــة وإنـــك يحيي بن زكريا وإنك روح القدس ، وأظن أن المعنى بهذه الصفات هو حمدان قرمط.

وعرفه ــ أي المسيح ــ أن الصلاة أربع ركعات ركعتان قبل طلوع الشمس وركعتان بعد غروبها وأن الأذان في كل صلاة أن يقول المـــؤذن : الله أكـــبر الله أكـــبر الله أكـــبر ، أشهد أن لا إله إلا الله (مرتين)، وأشهد أن آدم رسول الله أشهد أن نوحاً رسول الله ، أشهد أن إبراهيم رسول الله ، أشهد أن موسى رسول الله ، أشهد أن محمداً رسول الله أشهد أن أحمد بن محمد الحنفية رسول الله ، وأن يقرأ في كل ركعة الاستفتاح وهي من المنزل على أحمد بن محمد بن الحنفية، والقـــبلة إلـــى بيت المقدس ، والحج إلى بيت المقدس ، وأن الجمعة يوم الاثنين لا يعمل فيه شئ والسورة الحمد لله بكلمته وتعالى باسمه المتخذ لأوليائه بأوليائه[1].

---

(1) الكامل الحسن بن محمد بن عبد الكريم المعروف بابن الأثير حوادث ٢٧٨هـ ط/ بيروت.

تفسير القرآن الكريم

يتضمن كتاب القرامطة تأويلاً للقرآن الكريم تأويلاً باطنياً يتفق ودعوتهم الملحدة الخارجة عن قواعد الإسلام وأصوله.

يقول الملحد في كتابه عن تفسير قوله تعالي : " **يَسْأَلونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ** "[1] يقول القرمطي الباطني ظاهراً ليعلم الناس عدد السنين والحساب والشهور والأيام ، وباطنها أوليائي الذين عرفوا عبادي سبيلي ، اتقوني يا أولي الألباب وأنا الذي لا أسال عما أفعل وأنا العليم الحكيم ، وأنا الذي أبلو عبادي ، وأمتحن خلقي ، فمن صبر على بلائي ومحنتي ، واختباري ألقيته في جنتي ، وأخلدته في نعمتي ، ومن زال عن أمري ، وكذب رسلي أخذته مهاناً في عذابي وأتممت أجلي ، وأظهرت أمري على ألسنة رسلي ، وأنا الذي لم يعل على جبار إلا وضعته ، ولا عزيز إلا أذللته، وليس الذي أصر على أمره ودام على جهالتَه وقال لن نبرح عليه عاكفين وبه موقنين أولئك هم الكافرون.

وتضمن الكتاب أيضاً أن المتبع لهذه النحلة أن يقول في ركوعه في الصلاة : سبحان رب العزة وتعالى عما يصف الظالمون ، يقولها مرتين في ركوعه ، فإذا سجد قال : الله أعلى الله أعلى الله أعلم الله أعظم الله أعظم.

أما ما تضمنه الكتاب من الشريعة فيشتمل على صوم يومين في السنة وهما المرجمان والنيروز ، وأن النبيذ حرام والخمر حلال ، ولا غسل من جنابة إلا الوضوء كوضوء الصلاة وأن من حاربه وجب قتله ومن لم يحاربه ممن يخالفه أخذ منه الجزية ، ولا يأكل كل

---

(١) سورة البقرة الآية : ١٨٩ .

ذي ناب ولا كل ذي مخلب[١].

وذكـــر أصحاب التواريخ أن المذهب القرمطي الذي هو فرع عـــن المذهـــب الباطني كان يستمد أصوله من المزدكية اتباع مزدك الذي نادي بالشيوعية في الأموال والأملاك والنساء.

ولهـــذا عمـــد القرمطي إلي إحياء مذهب مزدك فجعل الثروة دولـــة بين جميع القرامطة وكذلك النساء والأولاد جميعاً اعتياداً للقيم الأخلاقية والمفاهيم الدينية.

وقـــد أورد صاحب (التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع) أن القـــرامطة زعموا أن نساء بعضهم لبعض حلال ، وكذلك أولادهم وأبداتهم مباحة من بعضهم لبعض لا حظر بينهم ولا منع)[٢].

وذكـــر صـــاحب (نهاية الإرب) أن القرامطة كانوا يجمعون النساء في ليلة معروفة ويختلطن بالرجال ويقولون أن ذلك من صحة الود[٣].

وذكـــر صـــاحب كشف أسرار الباطنية وأخبار القرامطة : أن القرامطة كانوا يسمون هذه الليلة (المشهد الأعظم)[٣].

وقد أورد الحماد اليماني في كشف أسرار الباطنية شعراً لأحد شعرائهم يتضمن عقيدتهم ومذهبهم جاء فيه على لسان شاعرهم :

خذي الدف يا هـــذى والعبي وغنـــي هزاريـــك ثم اطربـــــي

---

(١) التنبيه والرد علي أهل الأهواء والبدع لأبي الحسن محمد بن أحمد بن عبد الرحمن الملطي الشافعي المتوفى سنة ٣٧٧هـ ، ط/ المثني بغداد تقديم محمد زاهد الكوثر .

(٢) التنبيه والرد علي أهل الأهواء والبدع لأبي الحسن محمد بن أحمد بن عبد الرحمن الملطي الشافعي المتوفى سنة ٣٧٧هـ ، ط/ المثني بغداد تقديم محمد زاهد الكوثر .

(٣) نهاية الإرب .

(٣) كشف أسرار الباطنية ص ٤٥ .

تولـــى نبـــى بنى هاشـــم وهذا نبـــى بنـــى يعـــرب

لكل نبـــى مضـــى شـــــرعه وهـــذى شـــرائع هذا النبـــى

أحل البنـــــات مـــــع الأمهـــات ومن فضـــله زاد حـــل الصبي

وقد حط عنا فروض الصـــــلاة وحـــط الصـــيام ولم يتعـــب

ولا تطلبـــى الســـعي عند الصفا ولا زورة القـــبر فـــي يثـــرب

ولا تمنعـــي نفســـك الناكحين مـــن الأقربيـــن والأجنبـــي

فلم ذا حللـــت لهـــذا الغريب وصـــرت محرمة لـــــلأب

أليس الفـــراش لمـــن ربـــه وأســـقاه في الزمـــن المجدب

وما الخمر إلا كماء الســـماء حلال فقـــدرت من ذهـــب[1]

قال الحمادي اليماني :

والشعر طويل وكله استحلال للمحرمات واستخفاف بالشرع والدين وهذا هو مذهب الباطنية وخليفتها القرمطية بجميع طوائفها ودويلاتها التي طالما أزعجت المسلمين في كل مكان ، لم تختلف طائفة عن الأخرى فقد ثبت أن أبا سعيد الجنابي صاحب البحرين أنه دعا إلى موضع الفرائض وإباحة الزنا واللواط والكذب وشرب الخمر وترك الصلاة ، وحرم على الغلمان الامتناع ممن أراد أن يفعل بهم ، وجعل حد من امتنع منهم الذبح وكانت له ليلة تسمي (الإمامية) يجمع فيها نساءه ونساءهم فمن ولد من تلك الليلة سمي ولد (الإخوان)[2] . ولعل ليلة الإمامية هي ليلة المشهد الأعظم.

---

(١) القرامطة أول حركة اشتراكية في الإسلام ط/ أولي ص ٧٨ ، ٧٩ ط/ دار العلم للملايين - بيروت.

(٢) القرامطة علة الولي ص ٨٠ ، ٨١ ، انظر : تاريخ الفكر الإسلامي في اليمن د/ أحمد حسين شرف الدين ص ٩٣ ط/ ٣ الفرزدق الرياض ، وانظر كشف أسرار الباطنية ص ٥٥ .

حيلهم في إغواء الناس واستدراجهم للدخول في مذهبهم

سلكت الباطنية منهجاً منظماً في اصطياد الناس وإغوائهم كي يقعوا في شباك حبائلهم الفاسدة تسير سيراً دقيقاً وفق درجات مرتبة درجـــة تلو الأخرى بحيث لا تتعدى واحدة منها مكانها الذي أعدت له وذلك علي النحو التالي :

١ ــ التفرس ٠ ٢ ــ التأنيس ٠ ٣ ــ الربط ٠

٤ ــ التدليس ٠ ٥ ــ التلبيس ٠ ٦ ــ التشكيك ٠

٧ ــ التعليق ٠ ٨ ــ الخلع ٠ ٩ ــ الانسلاخ ٠

أمـــا التفرس فإنهم قالوا : من شرط الداعي إلى بدعتهم أن يكـــون قويـــاً علـــي التلبـــيس وعارفاً بوجوه تأويل الظواهر ليردها إلى الباطن ويكون مع ذلك مميز بين من يطمع فيه وفي إغوائه وبين مـــن لا مطمـــع فيه ، ولهذا قالوا في وصاياهم للدعاة إلي بدعتهم لا تتكلموا في بيت في سراج٠

يعـــنون بالســـراج مـــن يعـــرف علـــم الكلام ، وجوه النظر والمقاييس ، وقالوا أيضاً لدعاتهم لا تطرحوا بذركم في أرض سبخة، وأرادوا بذلـــك منع دعاتهم عن إظهار بدعتهم عند من لا يؤثر فيهم بدعتهم كما لا يؤثر البذر في الأرض المسبخة شيئاً ٠

وقـــالوا أيضـــاً من شرط الداعى إلى بدعتهم أن يكون عارفاً بـــالوجوه التـــي تدعى بها الأصناف فليست دعوة الأصناف من وجه واحـــد بل لكل صنف من الناس وجه يدعى منه إلى مذهب الباطن ، فمن رآه الداعي مائلاً إلى العبادات حمله علي الزهد والعبادة ثم سأله عن معاني العبادات وعلل الفرائض وشككه فيها ، ومن رآه ذا مجون

وخلاعـــة قـــال له : العبادات بله وحماقة وإنما الفتنة في نيل اللذات وتمثل له قول الشاعر :

من راقب الناس مات هماً وفاز باللذة الجســـور

ومن رآه شاكاً في دينه أو في المعاد والثواب والعقاب صرح لـــه بنفـــي ذلك وحمله على استباحة المحرمات واستروح معه قول الشاعر الماجن :

أأترك لذة الصهباء صرفاً لما وعدوه من لحم وخمر

حياة ثم مـــوت ثم نشـــر حديث خرافة يا أم عمـــرو

ومـــن رآه مـــن غلاة الرافضة كالسبئية والبيانية والمغيرية والمنصورية والخطابين لم يحتج معه إلى تأويل الآيات والأخبار لأنهم يتأولونها معهم على وفق ضلالتهم.

ومـــن رآه مـــن الرافضة مائلاً إلى الطعن في الصحابة دخل علـــيه مـــن جهة شتم الصحابة وزين له بعض بني تميم لأن أبا بكر منهم وزين له بعض بني عدي لأن الفاروق منهم.

وقد عبر عن رغبة الباطني إسماعيل بن عباد حين قال :

دخول النار في حب الوصي وفي تفضيل أولاد النبي

أحب إلى من جنـــات عـــدن أخلدهـــا بتميم أو عدي

وقد رد عليه صاحب الفرق بين الفرق بقوله :

أتطمع أنت في جنات عـــدن وأنت عدو تميـــم أو عدي

وهم تركوك أشقى من ثمود وهم تركوك أفضح من دعي

وفي نار جحيم غدا ستصلى إذا عاداك صديـــق النبـــي[١]

ومن رآه الداعي مائلاً إلى أبي بكر وعمر مدحهما عنده وقال لهمـــا حفظ من تأويل الشريعة ولهذا اصطحب النبي أبا بكر إلى الغار ثم إلى المدينة وأفضى إليه في الغار تأويل شريعته[٢]

---

(١) انظر الفرق بين الفرق ص ١٧٩ ، ١٨٠ .

(٢) المرجع السابق ص ١٨١ .

أصناف من تلتبس عليهم خدعة الباطنية

١ ــ العامة الذين قلت بصائرهم بأصول العلم والنظر كالنبط والأكراد وأولاد المجوس .

٢ ــ الشعوبية الذين يرون تفضيل العجم على العرب ويتمنون عودة الملك إلى العجم .

٣ ــ أغنام بني ربيعة من أجل غيظهم علي مضر لخروج النبي معهم ولهذا قال عبد الله بن حازم السلمي في خطبته بخرسان .

إن ربيعة لم تزل غضاباً علي الله منذ بعث نبيه من مضر ومن أجل حسد ربيعة لمضر بايعت بنو حنيفة مسيلمة الكذاب طمعاً في أن يكون في بني ربيعة نبي كما كان في بني مضر نبي[١] .

فــإذا استأنس الأعجمي لقول الباطني قال له قومك أحق بالملك من مضر فيسأله عن السبب في عودة الملك إلى قومه فيقول له: أن الشــريعة المضرية لها نهاية وقد جنا انقضاؤها وبعد انقضائها يعود الملــك إليكم ثم يذكر له تأويل إنكار شريعة الإسلام على التجريد فإذا قــبل ذلــك مــنه صــار ملحداً واستثقل العبادات واستطاب استحلال المحرمات[٢] .

وقد أورد حجة الإسلام الغزالي ثلاثة أوصاف لمن يحظى بدرجة التفرس :

١ ــ أن يمــيز بيــن من يجوز أن يطمع في استدراجه ويوثق بلين عريكته لقبول ما يلقى إليه على خلاف معتقداته .

٢ ــ أن يكــون مشــتعل الحواس ، ذكى الخاطر في تعبير الظواهر

---

(١) نفس المرجع ص ١٨١ .
(٢) نفس المرجع ص ١٨١ .

وردهـــا إلي البواطن ، إما اشتقاقاً من لفظها أو تلقيا من عددها أو تشبيهاً لها بما يناسبها وبالجملة فإذا لم يقبل المستجيب منه تكذيـــب القرآن والسنة فينبغي أن يستخرج من قلبه معناه الذي فهمه ويترك معه اللفظ منزلاً على معنى يناسب هذه البدعة فإنه لو شافهه بالتكذيب لم يقبل منه .

٣ ــ ألا يدعـــو كل واحد إلى مسلك واحد بل يبحث أولاً عن معتقده ومـــيله ومذهـــبه ثم يخاطب كل واحد على حسب ميله ومعتقده ومذهبه[١] .

ثانيا : التأنيس وهو أن يوافق كل من هم بدعوته في أفعال يـــتعاطاها هـــو ومن تميل إليه نفسه وأول ما يفعل الإنس بالمشاهدة علـــى مـــا يوافـــق اعـــتقاد المدعو في شرعه ، وقد رسموا للدعاة والمأذونيـــن أن يجعلـــوا مبيـــتهم كـــل ليلة عند أحد المستجيبين ، ويجتهدون في استصحاب من له صوت طيب في قراءة القرآن ليقرأ عـــندهم زمانـــاً ، ثـــم يتبع الداعي ذلك كل بشيء من الكلام الرقيق وأطـــراف من المواعظ اللطيفة الآخذة بمجامع القلوب ثم يردف ذلك بالطعـــن فـــي الحكام وعلماء الزمان وجهال العوام ويذكر أن الفرج منـــتظر من كل ذلك ببركة أهل البيت وهو فيما بين ذلك يبكي أحيانا ويتنفس الصعداء وإذا ذكر آية أو خبراً ذكر أن الله سرا في كلماته لا يطلع عليه إلا من اجتباه من خلقه وميزه بمزيد لطفه[٢] .

ثالثاً : الربط : وهـــو تعليق نفس المدعو بطلب تأويل أركان الشـــريعة ، فأما أن يقبل منهم تأويلها على وجه يؤول إلى رفعها ،

---

(١) انظر فضائح الباطنية ص ٢١ ـ ٢٢ .
(٢) المرجع السابق ص ٢٤ .

وإمـــا ــ يبقـــي علي الشك والحيرة فيها[١]، وذلك بعد أن يأخذ عليه العهـــود والمواثيق بكتمان سر الدعوة وصيغتها (جعلت على نفسك عهـــد الله وميـــثاقه وذمة رسوله وما أخذ الله على النبيين من عهد وميثاق أنك تسر ما سمعته مني وتسمعه ، وعلمته وتعلمه من أمري وأمـــر المقـــيم بهـــذه البلدة لصاحب الحق إلي الإمام المهدي وأمور أخواته وأصحابه وولده وأهل بيته وأمور المطيعين له على هذا الدين ومخالصـــة المهـــدي ومخالصة شيعته من الذكور والإناث والصغار والكبار ، ولا تظهر من ذلك قليلاً ولا كثيراً تدل عليه إلا ما أطلقت لك أن تـــتكلم به ، أو أطلق لك صاحب الأمر المقيم في هذا البلد أو في غيره فتعمل حينئذ بمقدار ما ترسمه لك ولا تتعداه جعلت على نفسك الوفاء بما ذكرته لك وألزمته نفسك في حال الرغبة والرهبة والغضب والرضـــا وجعلت على نفسك عهد الله وميثاقه أن تتبعني وجميع من أمسه لك وأبينه عنك مما تمنع منه نفسك وأن تنصح لنا وللإمام ولي الله نصـــاً ظاهراً أو باطناً وألا تخون . . فإن خالفت شيئاً مما حلفتك علـــيه بـــتأويل أو بغـــير تـــأويل فأنت برئ من الله ورسله الأولين والآخريـــن ومن ملائكته المقربين ومن جميع ما أنزل من كتبه على أنبيائه السابقين وأنت خارج من كل دين)[٢].

رابعاً : التدليس: ويعنـــي أن الظواهـــر عذاب وباطنها فيه الرحمة وذكر قولـــه تعالي : " **فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ** "[٣].

وقالوا إن الظاهر كالقشر والباطن كاللب واللب خير من القشر[٤]

---

(١) الفرق بين الفرق ص ١٨١ .
(٢) انظر فضائح الباطنية ص ٢٨ .
(٣) سورة الحديد الآية : ١٣ .
(٤) الفرق بين الفرق ص ١٨١ ، ١٨٢ .

وأن مـــثار الجهـــل يعود إلى تحكيم الناس عقولهم الناقصة وآراءهم المتناقضـــة وإعراضـــهم عن الاتباع والتلقي من أصفياء الله وأئمته وأوتـــاد أرضـــه ، والذيـــن هم خلفاء رسوله من بعده فمنهم الذين أودعهـــم الله ســـره المكنون ودينه المخزون وكشف لهم بواطن هذه الظواهر[١].

خامساً :التلبيس: ويستدعي أن يقوم الداعي بعرض مقدمات مقـــبولة الظاهـــر مشـــهورة عند الناس زائغة ويرسخ ذلك في نفس المستجيب مدة ثم يستدرجه منها بنتائج باطلة[٢].

سادساً: التشكيك: وهي أن يسألوا المستجيبين أسئلة يعجز الكثـــير عـــن الإجابة عليها تتناول المحسوسات والشرائع والمتشابه موهميـــن الضحية بأن لكل من هذه المسائل ظاهراً وباطناً والباطنية هـــم الذيـــن اختصـــوا بتوضيح الباطن وحدهم بتصريح من إمامهم المهدي.

من ذلك قولهم : لم صار للإنسان أذنان ولسان واحد ؟ ولم صار للـــرجل ذكر واحد وخصيتان ؟ ولم صارت الأعصاب متصلة بالدماغ والأوردة متصـــلة بالكـــبد ؟ والشـــرايين متصلة بالقلب ؟ ولم صار الإنســـان مختصاً بإنبات الشعر على جفنيه الأعلى والأسفل ؟ وسائر الحيوان ينبت الشعر على جفنه الأعلى دون الأسفل ، ولم صار ثدي الإنســـان علـــى صـــدره وثدي البهائم في بطونها ؟ وما الفرق بين الحيوان الذي يبيض ولا يلد والذي يلد ولا يبيض[٣].

غير ذلك كثير مما يوهمون الناس أن العلم بذلك عند زعيمهم ــ الإمـــام ــ مسائلهم في القرآن سؤالهم عن معاني حروف الهجاء في

---

(١) فضائح الباطنية ص ٣٠ .
(٢) المرجع السابق ص ٣٢ .
(٣) الفرق بين الفرق ص ١٨٤ ـ التبصير في الدين ص ١٤٤ .

أوائـــل السور كقوله تعالي : **ألم.حم.طس.يس.طه** ما معنى هذه الحـــروف ، ولـــم جاز وصل بعضها بما بعدها بحرف ؟ وما معني : ويحمـــل عـــرش ربـــك فوقهم يومئذ ثمانية ؟ ولم جعل أبواب الجنة ثمانية وأبواب النار سبعة ؟ وما معنى عليها تسعة عشر ؟ وما فائدة العدد[١].

إلـــى غـــير ذلك حتي يتمكنوا من إيهام الضحية أن معرفة هذه الأمور تعود إلى زعيمهم فقط .

ومـــن مســـائلهم فـــي الفقه لم صارت صلاة الصبح ركعتين ، والظهـــر أربعاً ، والمغرب ثلاثاً ؟ ولم صار في كل ركعة ركوع واحد وســـجدتان ؟ ولـــم وجب الغسل من المني وهو عند أكثر المسلمين طاهرٌ ؟ ولم يجب من البول وهو نجس عند الجميع ؟.

ولـــم أعادت الحائض ما تركت من الصيام ولم تعد ما تركت من الصلاة ؟ ولم كانت العقوبة في السرقة بقطع اليد وفي الزنا بالجلد ؟ وهل قطع الفرج الذي به زنى في الزنا كما قطعت اليد التي بها سرق في السرقة.

فـــإذا سمع الضحية هذه الأسئلة وطلب منهم تأويلها ، قالوا له علمهـــا عـــند إمامنا ، وعند المأذون له في كشف أسرارنا فإذا تقرر عـــند المستجيب أن إمامهم أو مأذونهم هو العالم بتأويله واعتقد أن المـــراد بظواهر القرآن والسنة غير ظاهرها فقد أخرجوه عن العمل بأحكام الشريعة[٢].

سابعاً : **التعليق** : وتأتي هذه المرحلة بعد التشكيك فإذا سألهم

---

(١) الفرق بين الفرق ص ١٨٤ ـ التبصير في الدين ص ١٤٤ .
(٢) قواعد عقائد آل محمد ص ٢٧ .

المغرور كما ذكرنا عنهم علقوا قلبه فإذا رجع إليهم بالسؤال قالوا لا تعجل فإن دين الله أجل من أن يبذل لكل أحد ، ووردت سنن المرسلين بأخذ الميثاق ، وتلوا عليه الآيات التي فيها ذكر العهد والميثاق نحو قوله تعالي : " **أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ مِيثَاقُ الْكِتَابِ أَنْ لَا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ** "(٧ ــ ١٦٩ وأمثاله[١]) .

ثامناً: الخلع : وهي مرحلة يصل فيها المستجيب إلى ترك العمل بالشريعة حيث يكون خلعها عن نفسه فهي خاصة بالعمل .

تاسعاً :الانسلاخ : وهي مرحلة خاصة بالاعتقاد ويصل فيها المستجيب إلى خلع الدين عن معتقده فإذا انتزعوا ذلك من قلبه عدوه سلخاً[٢] .

وقد أوضح الجماد اليماني طريقتهم في إقناع الأشخاص الذين يوقعونهم في شباك حبائلهم لإدخالهم الحركة القرمطية فذكر أنها طريقة التدرج في بيان أسرار هذه الحركة من مرحلة إلى أخرى فإذا وصل المأذون إلي المرحلة الرابعة[٣] مع الشخص المستهدف للاصطياد يقول له : قد عرفت أربع درجات وبقي عليك الخامسة ، فكاشف عنها فإنها منتهى أمرك وغاية سعادتك ويتلو عليه : " **فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ** "[٤]

فيقول له ــ أي الشخص ــ ألهمني إياها ودلني إليها ، فيتلو عليه :" **قد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك**

---

(١) قواعد عقائد آل محمد ص ٢٧ .

(٢) فضائح الباطن ص ٣٢ .

(٣) المرحلة الأولي تفرس حال المدعو أقبل الدعوة أم لا ؟. المرحلة الثانية استواء كل أحد بما يميل إليه من زهد أو خلافه ، المرحلة الثالثة التشكيك في أصول الدين الإسلامي ، المرحلة الرابعة أخذ الميثاق على الشخص بأن لا يفشي لهم سرا .

(٤) انظر : التبصير في الدين ص ١٤٣ ، ١٤٤ .

اليوم حديد" ، ثم يقول له : أتحب أن تدخل الجنة في الحياة الدنيا ؟ فيقول: وكيف لي بذلك ؟ فيتلو عليه :" وإن لنا للآخرة والأولى" ويتلو عليه : "قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة" .

والزينة ها هنا ما خفي على الناس من أسرار النساء التي لا يطلع عليها إلا المخصوصون بذلك ، وذلك قوله : " **وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ** " والزينة مستورة غير مشهورة ، ثم يتلو عليه : " **وَحُورٌ عِينٌ كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ** " فمن لم ينل الجنة في الدنيا لم ينلها في الآخرة لأن الجنة مخصوص بها ذووا الألباب وأهل العقول دون الجهال ؛ لأن المستحسن من الأشياء ما خفي ، ولذلك سميت الجنة جنة لأنها مستجنة وسميت الجن جناً لاختفائهم عن الناس ، والمجنة ، المقبرة ؛ لأنها تستر من فيها ، والترس المجن ؛ لأنه يستتر به ، فالجنة ها هنا ما استتر عن هذا الخلق المنكوس الذين لا عقول لهم[1] ويقصد بذلك من منهم على ملة الإسلام والإيمان قبحه الله ولعنه ولعن من اتبعه في دعوته إلى يوم الدين ــ ثم يزيد هذا الداعي الملحد ــ في إغواء المستجيب حتى يزداد شوقاً إلى الاستزادة من هذا الضلال والتحريف والإلحاد في دين الله ، عند ذلك يطلب المصطاد من الداعي أن يزيده معرفة أكثر فيقول له : تلطف بحالي إلى ما شوقتني إليه فيقول الداعي : ادفع النجوى اثنى عشر ديناراً لكون ذلك قرباناً وسلماً ثم يمضي به إلي الإمام فيقول ــ الداعي ــ يا مولانا إن عبدك فلان قد صحت سريرته ، وصفت خيرته، وهو يريد أن تدخله الجنة وتبلغه حد الإحكام وتزوجه الحور العين فيقول له الإمام وقد وثقته وأمنته.

---

(١) القرامطة ط/ الأولي ص ٧٧ .

فـيقول : الداعي ــ يا مولانا قد وثقته وأمنته وخبرته فوجدته علي الحق صابراً ولنعمك شاكراً.

فـيقول الإمام علمنا صعب مستصعب لا يحمله إلا نبي مرسل ، أو ملـك مغـرب ، أو عبد امتحن الله قلبه بالإيمان ، فإذا صح عبدك حالـه فا ذهب به إلى زوجتك فاجمع بينه وبينها فيقول الداعي سمعاً وطاعـة لمولانا ، فيمضي به إلي بيته فيبيت الشخص المستجيب مع زوجـة الداعي ، حتى إذا كان الصباح قرع عليهما الباب وقال قوما قـبل أن يعلـم بـنا هذا الخلق المنكوس ــ يقصد من هم علي ملة الإسـلام الذين يحرمون الحرام ويحلون الحلال ــ فيشكره المستجيب علي ذلك فيقول له ليس هذا من فضلي ، هذا من فضل مولانا ، فإذا خرج من عنده تسامع به أهل هذه الدعوة الملعونة فلا يبقي من أحد إلا بـات المستجيب مع زوجته اقتداء بما فعل الداعي[1] ثم يقول له الداعـي لا بد لك أن تشهد المشهد الأعظم عند مولانا ، فادفع قربانا فـيدفع اثني عشر ديناراً ويصل به ويقول يا مولانا ، إن عبدك فلاناً يـريد أن يشـهد المشـهد الأعظم وهذا قربانه ، حتى إذا جن الليل ودارت الكـؤوس وطابـت النفوس ، أحضر جميع أهل هذه الدعوة حريمهم فيدخلن عليهم من كل باب ، وأطفأوا السراج والشموع وأخذ كـل واحـد منهم ما وقع عليه في يده ، ثم يأمر المقتدي زوجته أن تفعـل كفعـل الداعـي وجمـيع المستجيبين ، فيشكره المخدوع ــ المصـطاد ــ علي فعله له ــ فيقول الداعي ليس هذا ــ من فضلي ، هـذا مـن فضل مولانا أمير المؤمنين فاشكروه ولا تكفروه على ما أطلـق من وثاقكم ووضع عنكم أوزاركم وحط عنكم آصاركم ووضع

---

(١) إن مذهب الباطنية وبطلانه فنقول من كتاب قواعد عقائد آل محمد تأليف محمد بن الحسن الديلمي عني تصحيحه رشيد وطبان ص ٤ ط/ المكتبة الإمدادية بمكة المكرمة.

عنكم أثقالكم وأحل لكم بعض الذي حرم عليكم جهالكم[١] ويتلو عليه : " وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ " (٤١ ــ ٣٥).

ويقصد أن الذي يتبعهم يكون من أصحاب الحظ ومن يتبع محمداً وشريعته يكون على شريعة الجهل والمتضمنة الأثقال والأوزار والآصاد وتحريم الحلال في عرف الباطنية وهو الحرام في الشريعة الإسلامية.

(١) مرجع سابق حوادث ٢٧٨ هـ .

قرامطة البحرين

تزعم هذه الطائفة الحسين بن بهرام الجنابي ويكني أبا سعيد الجنابي نسبة إلى جنابة وهي بليدة على ساحل الخليج الفارسي مشرقاً .

وقيل إنه فارسي الأصل .

وقد تلقى الجنابي هذا أصول الدعوة الإسماعيلية عن عبدان صهر حمدان قرمط ، وكان عبدان قد أخذ عن الحسين الأهواري ، وكان بدء إمارة القرامطة بالبحرين أن رجلاً يعرف بيحيى بن المهدي قصد القطيف فنزل على رجل يعرف بعلي بن المعلي بن حفدان ، مولى الزياديين ، وكان مغالياً في التشيع ، فأظهر له يحيي أنه رسول المهدي ، وكان ذلك سنة إحدى وثمانين ومائتين ، وذكر أنه خرج إلى شيعته في البلاد يدعوهم إلى أمره وأن ظهوره قد قرب فوجه على بن المعلي إلى الشيعة من أهل القطيف فجمعهم وأقرأهم الكتاب الذي مع يحيي بن المهدي إليهم من المهدي ، فأجابوه ، وأنهم خارجون معه إذا ظهر أمره ، فعرض دعوته على سائر قرى البحرين بمثل ذلك فأجابوه وكان فيمن أجابه أبو سعيد الجنابي ، وكان يبيع للناس الطعام ، ويحسب لهم بيعهم ، ثم غاب عنهم يحيى ابن المهدي مدة ثم رجع ومعه كتاب يزعم أنه من المهدي إلى شيعته .

فيه قد عرفني رسولي يحيي بن المهدي مسارعتكم إلى فليدفع إليه كل رجل منكم ستة دنانير وثلثين ففعلوا ذلك .

ثم غاب عنهم وعاد ومعه كتاب فيه أن ادفعوا إلى يحيى خمس أموالكم فدفعوا إليه الخمس ، وكان يحيى يتردد في قبائل قيس

ويـورد إلـيهم كتـباً يزعم أنها من المهدي وأنه ظاهر فكونوا على أهبة.

وحكـي عـن إبراهـيم الصائغ منهم أنه كان عند أبي سعيد الجنابي ، وأتاه يحيى فأكلوا طعاماً ، فلما فرغوا خرج أبو سعيد من بيـته وأمر امرأته أن تدخل إلى يحيى وأن لا تمنعه نفسها إن أراد ، فانتهـي هـذا الخـبر إلي الوالي ، فأخذ يحيي فضربه وحلق رأسه ولحيته ، وهرب أبو سعيد الجنابي إلى جناب وسار يحيى بن المهدي إلى بني كلاب وعقيل والحريس فاجتمعوا معه[١].

وعظم أمر أبي سعيد والتف حوله جماعة من الأعراب والنبطيين الذين رحبوا بدعوته ، فاستفحل أمره وقويت شوكته وقتل من وقف في طريقه من أهل القطيف ، وأغار على مدينة هجر عاصمة البحرين فاستولي عليها بعد حصار سنتين واتخذ الإحساء عاصمة لدولة القرامطة الجديدة ، وقد استطاعت هذه الدولة أن تبسط نفوذها في الجزيرة العربية.

وأقامت حكومة ملكية وراثية في بيت الجنابي يعاونها مجلس من اثنى عشر عضواً وضع لها القوانين والأنظمة وأوجد نظاماً حربياً كما أعد جيشاً قوياً أثار مخاوف الخليفة العباسي المعتضد فأرسل إلي الجنابي جيشاً بقيادة العباسي بن عمرو الغنوي ، فهزمه الجنابي ووقع القائد في الأسر ، وهكذا استطاع الجنابي أن يقيم دولة إسماعيلية قرمطية قوية بالبحر امتد نفوذها على هجر والإحساء والقطيف وسائر بلاد البحرين والطائف[٢] .

وقتل لعنه الله بيد خادمه في عام ٣٠١هـ فخلفه ابنه سعيد ٣٠١ ـ ٣٠٥ هـ والذي سار على سياسة أبيه التي تنطوي على التقرب من

---

(١) الكامل ٨ / ٥٨ .

(٢) الكامل ٨ / ٨٨ .

العباسيين والتباعد عن الفاطميين بعد أن وثق من ضعف العباسيين وعدم مقاومتهم وخاف بأس الفاطميين لذا قرر الخليفة الفاطمي في المغرب خلفه وتولي أخيه أبي طاهر سنة ٣٠٥هـ ، وقد أخذ أبو طاهر على عاتقه تنفيذ سياسة الفاطميين التي ترمي إلى القضاء علي العباسيين ــ بل الإسلام والمسلمين ــ ففي أوائل القرن الرابع امتدت غارات القرامطة إلي العراق ، ففتحوا البصرة والكوفة وأعملوا فيها النهب وألقوا الرعب في بغداد ، وقطعوا الطريق بين مكة والمشرق.

وفي عام ٣١٧هـ هاجم القرامطة مكة بقيادة أبي طاهر القرمطي ، ونهب هو وأصحابه أموال الحجاج وقتلوهم في المسجد الحرام وفي البيت نفسه قلع باب البيت وقلع الحجر الأسود وأنفذه إلي هجر وقال كم تعبد في الأرض وآل محمد لا تظهره وأخذ كسوة البيت ففرقها بين أصحابه[١] .

وقد لامه المهدي على ذلك وبعث إليه بكتاب جاء فيه : " حققت على شيعتنا اسم الإلحاد والكفر ، بما فعلت وأمره في الكتاب بأن يعيد الحجر إلى موضعه فأعاده بعد اثنين وعشرين سنة "[٢]

ومن خلال كتاب المهدي إلى أبي طاهر بالإضافة إلي تعيينه قائداً لقرامطة البحرين يتضح أن القرامطة جزء لا يتجزأ من الإسماعيلية التي بثت فيها الإسماعيلية دعاتها في ظل أرجاء الدولةالإسلامية.

ويؤيد ذلك الكتاب الذي بعث به المهدي العبيدى إلى عامله أبي طاهر القرمطي الذي تحدثنا عنه آنفاً .

---

(١) الحضارة الإسلامية ٥٠١/٢ ، وانظر هذا هو الإسلام فاروق الدملوجي ص ٨ ط/ دار الكتاب الجديد بغداد ، وانظر : الكامل ٨٨/٨، ٨٩ ، ١٣٢ ، ١٣٣ ، انظر أعلام الإسماعيلية ص ٥٣ ، ٥٤ .

(٢) انظر الألوهية في المعتقدات الإسلامية هذا هو الإسلام فاروق الدملوجي ٩/١ ط/ دار الكتاب الجديد ـ بغداد .

قرامطة الشمال العراقي وبعض مدن الشام

يـتزعم هـذه الطائفة زكرويه بن مهرويه أحد دعاة حمدان قـرمط ، وصهره عبدان ونشأ في إحدى قرى سواد الكوفة حيث أخذ يدعو إلى المذهب الإسماعيلي وإلى أسامة محمد بن إسماعيل ، فلما رأى أن جـيوش المعتضـد ـ الخلـيفة العباسي ـ متتابعة إلى من بسـواد الكوفة من القرامطة فإن القتل قد أبادهم ، سعى في استغواء من قرب من الكوفة من الأعراب : أسد وطي ، فلم يجبه منهم أحد ، فأرسـل أولاده إلـي كلب بن وبرة فاستنووهم ، فلم يجبهم منهم إلا الفخـذ المعروف بالتقليص بن ضمضم بن عدي بن خباب ومواليهم خاصـة ، فـبايعوا في سنة ٢٨٩هـ السماوة بن زكرويه المسمي بيحـيى المكنـي أبـا القاسم ، فلقبوه الشيخ ، وزعم أنه محمد بن عـبد الله بـن محمـد بن إسماعيل بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب وقيل لم يكن لمحمد بن إسماعيل ولد اسـمه عبد الله ، وزعم أنه له بالبلاد مائة ألف تابع وأن ناقته التي يركبها مأمورة ، فإذا تتبعوها في مسيرها نصروا ، وأظهر عضداً له ناقصـة وذكـر أنهـا آيـته ، وأتاه جماعة من بني الأصبغ وسموا الفاطميين ودانوا بدينه[1] .

وفـي سنة ٢٩٠هـ اتجه القرمطي إلي دمشق وحاصرها ، وضـيق الحصار علي طنج بن جف الإخشيدي ، وكان يلي الشام من قـبل الطولونيين ولم ينقذه إلا بدر الكبير الذي أرسله إليه هارون بن خمـاريـه ، وقـتل يحيي علي أبواب دمشق وقتل معه خلق كثير من أتـباعه ، وكـان هذا القرمطي يزعم أنه إذا أشار بيده إلى جهة من

---

(١) الكامل حوادث ٢٨٩ ، انظر : حركات ومؤامرات مناهضة في تاريخ الإسلام د/ حسن الحفناوي ص ٢٥٥ ـ ط/ دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع ـ المنصورة.

التي فيها محاربوه انهزموا[١].

وبعد هلاكه انتقلت رياسة الدعوة إلى أخيه الحسين بن زكرويه الذي ادعي كأخيه يحيي الانتساب إلي محمد بن إسماعيل وسمي نفسه أحمد وتكني بأبي العباس وعرف بأبي مهزوك[٢].

ودعا الناس فأجابه أكثر أهل البوادي وغيرهم فاشتدت شوكته وأظهر له شامة في وجهه وزعم أنها آيته ، فسار إلى دمشق فصالحه أهلها على خراج دفعوه إليه وانصرف عنهم.

ثم صار إلى أطراف حمص فغلب عليها وخطب له على منابرها وتسمي المهدي أمير المؤمنين .

وأتاه ابن عمه عيسي بن المهدي المسمى عبد الله بن أحمد ابن محمد بن إسماعيل فلقبه المدثر ، وزعم أنه المدثر الذي في القرآن ولقب غلاماً من أهله المطوق وقلده فقتل أسرى المسلمين.

ولما أطاعه أهل حمص ، فتحوا له بابها خوفاً منه سار إلي حماة ومعه النعمان ، وغيرهما فقتل أهلها وقتل النساء والصبيان ، ثم سار إلى بعلبك فقتل عامة أهلها ، ولم يبق منهم إلا اليسير ثم سار إلى تسليمة فمنعه أهلها ثم أعطاهم الأمان ففتحوا له بابها ، فبدأ بمن فيها من بني هاشم ، وكانوا جماعة فقتلهم أجمعين ، ثم قتل الصبيان والبهائم ، ثم خرج وليس بها عين تطرف[٣].

ثم اتجه نحو العراق ففتح البصرة والكوفة ودخل بغداد[٤].

ومن المستغرب له أن المذهب الإسماعيلي انتشر باسم آل

---

(١) مرجع سابق حوادث ٢٩٠ .
(٢) أعلام الإسماعيلية ص ٥٢ .
(٣) الكامل حوادث ٢٩٠ .
(٤) أعلام الإسماعيلية ص ٥٢ ، ٥٣ .

البيت متخذا من حب الناس لهم وسيلة لتحقيق مآربه السياسية فاستظلوا بظل الإمام المستور ونادوا بظهور المهدي المنتظر الذي يجيئ فيملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً .

ومع هذا الشعار الذي كان أساس نجاح دعوتهم واستغواء السذج والجهلاء والانخراط في دعوتهم نجد أن هذا الداعي الإسماعيلي الأساس القرمطي الشهرة يبيد الهاشميين إبادة كاملة حتى البهائم والصبيان في حمص مما يدل على أن أهداف هذه النحل الضالة إنما هو القضاء علي الإسلام والمسلمين ليس غير .

ويروي ابن الأثير حكاية عن متطيب في عصرهم تصور مدى بشاعة أفعال صاحب الشامة وجنده ضد الهاشميين وغيرهم من المسلمين فيقول :

ذكر عن متطيب بباب المحول يدعى أبا الحسين قال : جاءتني امرأة بعد ما دخل القرمطي صاحب الشامة بغداد وقالت أريد أن تعالج جرحاً في كتفي ، فقلت لها هنا امرأة تعالج النساء ، فانتظريها ، فقعدت وهي باكية مكروبة ، فسألتها عن قصتها قالت : كان لي ولد وطالت غيبته عني ، فخرجت أطوف عليه البلاد فلم أره، فخرجت من الرقة في طلبه ، فوقعت في عسكر القرمطي أطلبه فرأيته ، فشكوت إليه حالي وحال إخوته ، فقال : دعيني من هذا أخبريني ما دينك ؟ فقلت : أما تعرف ديني ؟ فقال : ما كنا فيه باطل، والدين ما نحن فيه اليوم ، فعجبت من ذلك ، وخرج وتركني ،.ووجه بخبز ولحم فلم أمسه حتى عاد فأصلحه وأتاه رجل من أصحابه فسألني هل أحسن من أمر النساء شيئاً ؟ فقلت نعم ، فأدخلني دار فإذا امرأة تطلق ، فقعدت بين يديها ، وجعلت أكلمها ولا تكلمني ، حتى ولدت غلاماً فأصلحت من شانه ، وتلطفت بها حتى كلمتني ،

فسألتها عن حالها ، فقالت : أنا امرأة هاشمية ، أخذنا هؤلاء الأقوام ، فذبحـوا أبي وأهلي جميعاً ، وأخذني صاحبهم فأقمت عنده خمسة أيـام ثم أمر بقتلي فطلبني منه أربعة أنفس من قواده فوهبني لهم ، وكنت معهم فوالله ما أدري ممن هذا الولد منهم[1].

---

(1) الكامل ج ٦ ص ١٠٥ .

وثائق تاريخية تتضمن عقيدة ومذهب الباطنية من إسماعيلية وقرامطة

ذكـــر بعض الباحثين المعاصرين لمذهب الباطنية والقرمطية بعـــض الوثائق التي تتضمن عقيدة ومذهب الباطنية أمثال البغدادي ، والغزالي وابن الجوزي والملطي والأسفرايني وغيرهم ونذكر من بين هؤلاء ما ذكره عبد القادر البغدادي في كتابه الفرق بين الفرق الذي أثبـــت فـــيه أن الباطنية زنادقة ملحدين من خلال ما صدر عنهم من وثائق تثبت ذلك .

وكذلـــك مـــا ذكـــره الاسفرايني في مؤلفه التبصير في الدين وسنقتصـــر على ذكر وثيقة تتضمن عقيدة الباطنية نستخدمها كدليل على فساد اعتقاد مذهب الباطنية والقرامطية .

الوثيقة

ذكـــر الـــبغدادي[١]والاســـفرايني[٢]نقلاً عن رواة التاريخ أن عـــبد الله بـــن الحسين بن سعيد بن عبد الله بن ميمون القداح الذي نســـب نفســـه إلـــى آل البيت زوراً وبهتاناً ومؤسس دولة العبيديين بالمغـــرب العربي عام ٢٩٦هـــ وجد الخلفاء الفاطميين بمصر الذين احتلوها بقيادة المعز لدين الله الفاطمي عام٣٦١هـــ الموافق٩٧٣م[٣]

بعـــث عبـــيد الله هذا إلى عامله سليمان بن الحسن بن سعيد الجنابي زعيم قرامط البحرين والإحساء جاء فيها : " ادع الناس بأن

---

(١) الفرق بين الفرق ، أبي منصور عبد القاهر بن طاهر البغدادي المتوفى ٤٢٩هـ .

(٢) التبصير في الدين أبي المظفر الاسفرايني المتوفى ٤٧١هـ تحقيق : كمال يوسف الحوت .

(٣) تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي الاجتماعي د/ حسن إبراهيم .

تـستقرب إليهم بما يميلون إليه وأوهم كل واحد منهم بأنك منهم فمن آنست منه رشداً فاكشف له الغطاء ، وإذا ظفرت بالفلسفي فاحتفظ به فعلـى الفلاسـفة معولـنا وإنا وإياهم مجمعون على خرق نواميس الأنبـياء وعلـى القول بقدم العالم لولا ما يخالفنا فيه بعضهم من أن للعالم مدبراً لا نعرفه " .

وقال أيضاً في هذه الرسالة : إن أهل الشرائع يعبدون إلهاً لا يعـرفونه ولا يحصلون منه إلا على اسم بلا جسم ، وقال فيها أيضاً أكرم الدهرية فإنهم منا ونحن منهم[١].

وقـال له فـيها أيضـاً : أوصيك بتشكيك الناس في التوراة والإنجـيل والقـرآن ، فإنـه أعظـم عون لك على القول بقدم العالم وأوصيت إليك بأن تعرف مخاريق الأنبياء والأمور التي ناقضوا فيها كما قال عيسى لليهود أنا لا أرفع شيئاً من شريعتكم ولا أنسخ ثم رفع السـبت ووضع بدله الأحد ، وغير قبله موسى فلما غير اليهود منه على هذه المناقضة قتلوه.

وينبغي أن لا نكون كصاحب الأمة المنكوسة ـ يقصد محمداً ـ صلي الله عليه وسلم ـ لما سألوه عن الروح لم يدر ما يقول فقال : " **وَيَسْأَلونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلاً** "[٢] وهم قبلوا منه ذلك ، وينبغي أن لا نكون كموسى ادعـى مـا ادعاه ولم يكن له برهان سوى المخرقة وحيل الشعبذة ، وذلكـم المحـق فـي زمانه ـ يقصد فرعون ـ قال فحشر فنادي " **فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى** "[٣]

---

(١) الفرق بين الفرق ص ١٧٧ .
(٢) سورة الإسراء من الآية : ٨٥ .
(٣) سورة النازعات من الآية : ٢٤ .

وقـــال فـــي تلك الرسالة أيضاً وأعجب من هذا في دينهم ــ يقصـــد دين الإسلام ــ أن الواحد منهم يكون له ابنة حسناء يحرمها على نفسه ويبيحها للأجنبي ، ولو كان له عقل لعلم أنه أولى بها من الـــرجل الأجنبـــي ، ولكـــنهم قوم خدعهم رجل بشيء لا يكون أبداً ، خوفهـــم بالقـــيامة والـــنار ، ومناهم الجنة ، واستعبدهم لهذا السبب فكيف لم يخف في نفسه مما خوفهم به حين استعبدهم في العاجل ولم يبال به[١] وهل الجنة إلا هذه الدنيا ونعيمها ؟ وهل النار وعذابها إلا مـــا فـــيها أصحاب الشرائع من التعب والنصب في الصلاة والصيام والجهاد والحج[٢].

ثـــم ذكر في آخر الرسالة العاملة أن ما يدعوه إليه هو الحق وأنـــه مذهب إمامه الذي يجب أن يتبعه ويتمسك به وأن المتمكن به هـــم أصـــحاب الفـــردوس الذين ينعمون بالنعيم الأبدي ولا شك بأن القرمطـــي على هذا المذهب ولذلك يطمئنه سيده بأنه هو وأخوته من الكفـــرة الفجرة هم الفائزون فقال له : " وإنك وإخوانك هم الوارثون الذيـــن ورثوا الفردوس وأراد بإخوانه الباطنية وفسر الفردوس فقال هـــو نعـــيم الدنـــيا ، ولذاتهـــا التي حرمها على هؤلاء الجهال الذين تمســـكوا بشـــرائع قوم من المتنبئين هنيئاً لكم الراحات التي وصلتم إليها والخلاص من التكليفات التي ابتلوا بها[٣].

---

(١) التبصير في الدين ص ١٤٣ .
(٢) الفرق بين الفرق ص ١٧٩ ط/ الحلبي .
(٣) التبصير في الدين ص ١٤٤ .

نهاية القرامطة

لمـــا هلك أبو سعيد الجنابي سنة ٣٠١هـــ خلفه ابنه سعيد ٣٠١ ــ ٣٠٥هـــ وكان سعيد هذا يرغب في التقرب من العباسيين والتـــباعد عن الفاطميين ، مما أغضب الخليفة الفاطمي في المغرب وقرر خلع سعيد وتولية أخيه أبي طاهر سنة ٣٠٥هـــ .

وقد أخذ أبو طاهر على عاتقه تنفيذ سياسة الفاطميين ، التي ترمي إلى القضاء على العباسيين .

ولما توفي أبو طاهر سنة ٣٣٢هـــ ، أصدر الخليفة الفاطمي قـــراره بإسناد رياسة الدعوة القرمطية إلى أحمد بن سعيد أخي أبي طاهـــر وتولـــية سابوز ابن أخيه العهد من بعده ولكن أحمد آثر ابنه الحسن الأعصم على ابن سابوز .

لذلك دب النزاع بين بيت أبي طاهر ، وبيت أخيه أحمد انتهي بقتل سابوز سنة ٣٥٨هـــ ، ونفي أنصاره إلى جزيرة أوال[١] .

وقـــد أدى مقـــتل ســـابوز إلى انقسام القرامطة إلى فريقين بـــزعامة بيـــت أبي طاهر ، وقد ظل على إخلاصه للفاطميين وفريق آخر بزعامة بيت أحمد وعلى رأسه ابنه الحسن الأعصم ، وقد خرج هذا الأخير علي الفاطميين وتقربوا من العباسيين .

لذلك نشب نزاع مسلح بين المعارضين والمؤيدين للفاطميين ، فـــاتخذ الحســـن الأعصم من استيلاء الفاطميين على دمشق بقيادة جعفـــر بـــن فـــلاح سنة ٣٥٨هـــ ، ومنعهم الجزية التي كانت تدفع للقـــرامطة مـــن قـــبل مقدارها ثلاثمائة ألف دينار كل سنة ، فرصة للانـــتقام مـــن الفاطميين فسار إلى بلاد الشام للاستيلاء عليها وأخذ

---

(١) أوال بوزن سحاب جزيرة كبيرة في البحرين عندها مغاص لؤلؤ .

الجزية بالقوة[١].

وفي عام ٣٦٠هـ استولي الحسن الأعصم على دمشق وأخذها من الفاطميين ثم استأنف السير إلى مصر معقل الفاطميين نفسها ووصل بجنده إلى عين شمس حيث عسكر بجنده ، وأخذ يهدد القاهرة ، ولما علم جوهر بذلك أعد العدة للحيلولة دون وصوله إلى القاهرة فحصنها[٢].

مما اضطر الفاطميين إلى التبرؤ من القرامطة .

وقد أرسل المعز لدين الله إلى الحسن الأعصم زعيم القرامطة حينذاك وقت زحفه على مصر كتاباً ينوه فيه المعز بما له ولآبائه من صفة الإمامة ، ويشير إلى ما كان لهم من الولاية والوصاية على زعماء القرامطة أسلاف الحسن وإلى ما كانوا ينشدونه من رعاية الأئمة الفاطميين وبركاتهم وأنهم لم ينتصروا على العباسيين إلا بفضل هذه الرعاية الروحية وينعي على الحسن خروجه ونكثه وتوعده بسوء العاقبة[٣].

ورد الحسن الأعظم على كتاب المعز فقال وصل كتابك الذي قل تحصيله وكثر تفصيله ونحن سائرون إليك والسلام[٤]ولم يلبث أن ظهر القرامطة في عين شمس سنة ٣٦٣هـ وحميت الحرب وانتهت باسترداد دمشق وزالت دولة القرامطة من جزيرة أوال سنة ٤٥٩هـ .

ومن البحرين والإحساء ٤٧٠هـ بعد زهاء قرنين كانوا

---

(١) انظر أعلام الإسماعيلية ص ٥٤ ، ٥٥ ، انظر تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي ج٣ ص ٢٠٠ ـ ٢٠٢ .

(٢) انظر المرجع السابق ص ٥٦ .

(٣) الخطط للمقريزي ١٢٨/٣ ط/ بولاق .

(٤) تاريخ الإسلام للفارسي ٢٠١/٣ .

مصـــدر رعب وفزع للدولة من العباسية بوجه خاص[١] لما قاموا به من السطو والسفك والقتل للأبرياء الآمنين أو التعدي على المقدسات والحـــرمات وإشـــاعة الفاحشة والدعوة إلى الإباحية والإلحاد والزيغ والخـــروج عن ملة الإسلام ــ عليهم لعنة الله ــ متخذين من انتحال التشـــيع لآل البيـــت وسيلة للانقضاض على الدولة العباسية ، وهي دولة سنية المذهب ، كما جعلوه أداة لاستقطاب الجماهير من السذج والجهـــلاء ــ لأن هـــذه الطائفة لم تكن تؤمن بالإسلام كنظام صالح للإنسان في كل زمان ومكان .

بـــل إنهـــم استبدلوا بهذا الدين الفلسفة اليونانية الأفلاطونية والأرسطاليسية والعقيدة الازرادشتية والمانوية والمزدكية والغنوصية النصـــرانية فاهـــتم مـــيمون واضـــع العقـــيدة الإسماعيلية بالأسرار والغوامض فقال : " إن للقرآن مدلولين ظاهري ، وباطني ، فالمعنى الظاهـــري ، واللغوي ليس هو المقصود بالذات والتمسك بهذا المعنى يوجـــب العـــذاب والمشـــقة ، أمـــا الأخذ بالمعنى الباطن فهو يوجب الانشراح والسعادة ؛ لأنه يقضي بترك التكليف والأعمال الظاهرة .

وبهـــذا تـــدرج مذهب ميمون بالاتساع ودخل فيه كل فاسدي العقـــائد وجميع المستائين ، ووجد فيه من دخل بسائق حب آل البيت (النـــبوي) وآخـــرون تعلقوا بأهدابه تخلصا من التكاليف الشرعية ، وكـــان معظم أشياعه ممن حركتهم العصبية القومية وأهاجهم خواطر الأسلاف[٢] .

وأضـــاف مؤسس الباطنية لمؤسسه بعض أسرار المجوسية وهـــذه الأســـرار كانـــت محشـــوة فـــي عدد(٧) ولذلك أضيف لاسم

---

(١) تاريخ الإسلام للفارسي ٣/٢٠١ .
(٢) مرجع سابق ٤/٢٥٨ ، ٢٥٩ .

الإسماعيلية والباطنية اسم (السبعية) وسبب تسميتهم بهذا الاسم هو أنهم يعتقدون أن عدد الأئمة (سبعة) كعدد أيام الأسبوع ، وعدد السماوات سبع والكواكب سبعة ، وأن عدد الرسل الناطقة أيضاً سبعة، ويزعمون أنه يوجد سبعة أئمة بين كل رسولين ناطقين لأجل إتمام الشريعة ، وأن كل ناطق ينسخ شريعة الناطق السابق ، ثم يأتي الأئمة السبعة فيتمون الشريعة ، وسموا الأئمة السبعة بالأئمة المستترة ، وما عدا هؤلاء لابد من وجود سبعة أشخاص يقتدي بهم في كل زمان وهم :

١ ــ الإمام : يستمد قوته من الله.

٢ ــ الحجة : يستمد من الإمام ويكون حجة لوجوده.

٣ ــ ذو المصة : يأخذ العلم ويمتصه من الحجة.

٤ ــ الداعي الأكبر : وهو أعظم المؤمنين .

٥ ــ الداعي المأذون : يأخذ العهد ممن يشاء أن يدخل في الدين من أهل الظاهر ويدخله في ذمة الإمام ويؤذن لينفتح لهم باب العلم والمعرفة.

٦ ــ المكالب من علت مرتبته في الدين ولم يؤذن للدعوة وهو يعاود الداعي.

٧ ــ المؤمن من اتبع الداعي وآمن بالعهد واستيقن به ودخل في ذمة الداعي وحزبه أي فرقته ومذهبه[1]

---

(١) القرامطة ص ٦٤ ـ ٦٥ .

أهم المراجع

١ ــ القرآن الكريم .

٢ ــ تاريخ الأمم والملوك .

٣ ــ لسان العرب .

٤ ــ اتعاظ الحنفاء للمقريزي .

٥ ــ تاريخ الرسل والملوك لابن جرير الطبري .

٦ ــ القرامطة أول حركة اشتراكية في الإسلام ــ ط/ دار العلم للملايين ــ بيروت .

٧ ــ أعلام الإسماعيلية .

٨ ــ الكامل لابن الأثير .

٩ ــ الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري تعريب محمد عبد الهادي أبو ريدة .

١٠ ــ التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع ــ ط/ المثني ــ بغداد .

١١ ــ نهاية الإرب .

١٢ ــ كشف أسرار الباطنية .

١٣ ــ تاريخ الفكر الإسلامي د/ أحمد حسين شرف الدين ــ ط/ الفرزدق ــ الرياض .

١٤ ــ الفرق بين الفرق .

١٥ ــ فضائح الباطنية .

١٦ ــ قواعد عقائد آل محمد ــ محمد بن الحسن الديلمي ــ ط/ المكتبة الإسلامية بمكة المكرمة ٠

١٧ ــ الألوهية في المعتقدات الإسلامية ــ ط/ دار الكتاب الجديد ــ بغداد ٠

١٨ ــ أعلام الإسماعيلية ٠

١٩ ــ الخطط للمقريزي ــ ط/ بولاق ٠

٢٠ ــ تاريخ الشعوب الإسلامية ــ كارل بروكلمان ــ ط/ دار العلم للملايين ــ بيروت ٠

* * * *